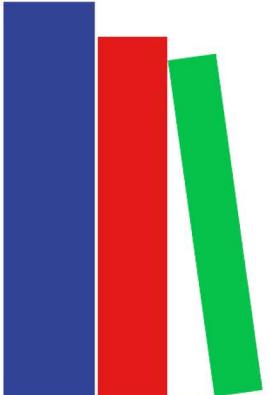


الوصايا التسعة في الطريق إلى العرفان



الشيخ علي القطبان البستاني

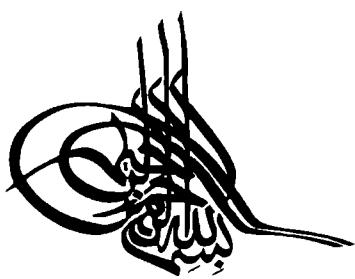


مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هؤلء الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
(إمام الصادق (ع))

الوصايا التسع

في الطريق إلى العرفان



علي القطان البستاني

الوصايا التسع

في الطريق إلى العرفان

كتاب الصدق

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى
٢٠١١ / ١٤٣٢ م



ISBN: 978-9953-545-65-3

دار الصفا

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - بئر العبد - خلف محطة ديبا .. ص.ب: 25/91 الغبيري

فاكس: 03 80 01 49 - هاتف: (+9611) 27 49 42 - 55 29 00

E-mail: dar_asafwa@hotmail.com

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ مُصَدِّقَةً وَآلِ مُصَدِّقَةٍ

المتتبع لتراث أهل البيت الفكري والمعنوی يرى أن كثرة التوجيهات التي صدروها لأتباعهم ولأفراد مجتمعهم ، والتي تعود بالنفع الكبير عليهم وعلى الأجيال اللاحقة .

ومن ضمن تلك التوجيهات والوصايا ما صدره الإمام الصادق عليه السلام لعنوان البصري بعد إصراره على الإمام للاستفادة من علمه و معنوياته وأخلاقه السامية ، فكانت هذه الوصايا من الإمام الصادق عليه السلام بمثابة المشكاة التي تضيء للسائرين والصالحين طريق الوصول إلى الكمالات الأخلاقية والمعنوية المفتحة على الأجواء الروحانية ، المتعتمقة في المنهج التهذيبی والترویضی لتزکیة النفس البشریة ، التي وإن

تركت وهوها هامت في سوح الشهوات والرغبات الدنيوية
الحقيقة.

لهذا اهتم الأساتذة العرفاء بهذه الوصايا اهتماماً كبيراً
واعتبروها البلسم الشافي لكل الأمراض التي يمكن أن تصيب
الإنسان من جراء الانصياع وراء الدنيا ومغرياتها الشهوية التي
تأسر الإنسان وتکبله بأغلال الذنوب والآثام.

علي القطن البستانى

١٤٣٠ / ٩ / ١٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ مَلَكُوتِكَ وَآلِ مَلَكُوكَ

قد تنقدح أو ترسم في ذهن القارئ العزيز علامة استفهام
عن أهمية هذه الرواية عن باقي الروايات ولماذا تناولها الكاتب
بالبحث والتنقيب والشرح؟

ونقول: تتجلّى أهمية هذه الرواية العظيمة في كونها:

أولاً: صادرة من ابن رسول الله ﷺ الإمام جعفر بن
محمد الصادق ع.

ثانياً: كونها تحمل في طياتها الكثير من المطالب العرفانية
التي لا غنى للإنسان المريد سلوك طريق الله عنها، فضلاً عن
طالب العلم.

ثالثاً: تعتبر هذه الرواية زاداً لسالكي طريق الله، لأن الطريق

طويل ويعد سفراً إلى الله، وهذا السفر يحتاج إلى زاد من نوع خاص وليس أي زاد، ومن شخص أمين وناصح وليس أي شخص، فما ظنك بزادٍ من شخص كالإمام جعفر الصادق عليه السلام؟

رابعاً: تمسك العرفاء بها وإصرارهم على طلبتهم تطبيق مطالبها العرفانية، ومن جملة هؤلاء العرفاء العارف الكبير المرحوم العلامة القاضي، عارف القرن بلا بديل، الذي يقول فيه الأستاذ الحاج العارف السيد هاشم الحداد: (منذ صدر الإسلام حتى الآن لم يأت عارف بجامعة المرحوم القاضي)^(١) فقد كان يأمر تلامذته ومريدي السير والسلوك إلى الله أن يعملوا برواية عنوان البصري، أي أن العمل طبقاً لمضمون هذه الرواية هو برنامج أساسي ومهم، إضافة إلى هذا كان يأمرهم بأن يضعوها في جيوبهم وأن يطالعواها مرة أو مرتين في الأسبوع، بل كان رضوان الله عليه لا يقبل تلميذاً بدون الالتزام بمضمون هذه الرواية.

(١) صادق زاده، كنز العرفان، ص ٣.

وهي منقوله عن الإمام الصادق عليه السلام وذكرها المجلسي في كتاب «بحار الأنوار». وبما أنها برنامج عمل جامع، منقول عن الإمام عليه السلام فنحن هنا سنذكر نفس الفاظ وعبارات الرواية، بدون أدنى تصرف، ليتمتع بها المحبون، وعاشقو السلوك إلى الله.



رواية عنوان البصري

أقول : وجدت بخط شيخنا البهائي قدس الله روحه ما هذا لفظه :

قال الشيخ شمس الدين محمد بن مكي : نقلت من خط الشيخ أحمد الفراهاني رحمه الله ، عن عنوان البصري - وكانشيخاً كبيراً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة .

قال : كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين ، فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه ، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك .

فقال لي يوماً : إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار ، فلا تشغلي عن وردي ، وخذ عن مالك ، واحتفظ إليه كما كنت تختلف إليه .

فاغتممت من ذلك، وخرجت من عنده وقلت في نفسي:
لو تفرس فيَ خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه.

فدخلت مسجد الرسول ﷺ وسلمت عليه، ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين، وقلت: أَسأَلُكَ يَا الله
يَا الله أَنْ تَعْطِّفْ عَلَيَّ قَلْبَ جَعْفَرٍ وَتَرْزَقْنِي مِنْ عِلْمِهِ مَا أَهْتَدِي
بِهِ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ، وَرَجَعْتُ إِلَى دَارِي مُغْتَمِّاً وَلَمْ
أَخْتَلُ إِلَى مَالِكَ بْنِ أَنْسٍ لَمَّا أَشْرَبَ قَلْبِي مِنْ حُبِّ جَعْفَرٍ، فَمَا
خَرَجْتُ مِنْ دَارِي إِلَّا إِلَى الصَّلَاةِ الْمُكْتَوَبَةِ حَتَّى عَيْلَ صَبْرِي،
فَلَمَّا ضَاقَ صَدْرِي تَنْعَلَتْ وَتَرْدَيْتْ وَقَصَدْتُ جَعْفَراً وَكَانَ بَعْدَ مَا
صَلَيْتُ الْعَصْرَ.

فَلَمَّا حَضَرَتْ بَابَ دَارِهِ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَخَرَجَ خَادِمُهُ فَقَالَ:
مَا حَاجَتَكَ؟ فَقَلَتْ: السَّلَامُ عَلَى الشَّرِيفِ.

فَجَلَسْتُ بِحَذَاءِ بَابِهِ فَمَا لَبِثْتُ إِلَّا يَسِيرًا إِذْ خَرَجَ خَادِمُهُ فَقَالَ:
ادْخُلْ عَلَى بَرْكَةِ اللهِ. فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَ السَّلَامُ
وَقَالَ: اجْلِسْ غَفِرَ اللهُ لَكَ!

فَجَلَسْتُ فَأَطْرَقْ مَلِيًّا، ثُمَّ رَفَعْ رَأْسِهِ، وَقَالَ: أَبُوكَ مَنْ؟!

قلت: أبو عبد الله!

قال: ثبت الله كنيتك ووفقك، يا أبا عبد الله! ما مسألتك؟!

فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً.

ثم رفع رأسه، ثم قال: ما مسألتك؟

فقلت: سأله أن يعطف قلبك علىٰ ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سأله.

فقال: يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من ي يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك!

قلت: يا شريف. فقال: قل يا أبا عبد الله! قلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟!

قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله

ملكاً، لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه.

فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله تعالى ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه.

وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هانت عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتعل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منها إلى المراء والombaها مع الناس.

فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هانت عليه الدنيا، وإبليس، والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزاً وعلواً، ولا يدع أيامه باطلأ، فهذا أول درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^(١).

قلت: يا أبا عبد الله أوصني ! .

(١) سورة القصص (٨٣).

قال : أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى ، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله .

ثلاثة منها في رياضة النفس ، وثلاثة منها في الحلم ، وثلاثة منها في العلم ، فاحفظها وإياك والتهاون بها ! .

قال عنوان : ففرغت قلبي له .

فقال : أما اللواتي في الرياضة : فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحمامة والبله ، ولا تأكل إلا عند الجوع ، وإذا أكلت فكل حلالاً وسم الله ، وادرك حديث الرسول ﷺ : «ما ملأ آدمي وعاء شرآ من بطنه فإن كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» .

وأما اللواتي في الحلم : فمن قال لك : إن قلت واحدة سمعت عشرأ فقل : إن قلت عشرأ لم تسمع واحدة ، ومن شتمك فقل له : إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي ، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك .
ومن وعدك بالخني فعده بالنصيحة والرعاة .

وأما اللواتي في العلم : فاسأله العلماء ما جهلت ، وإياك أن

تسألهم تعنتاً وتجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ
بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً، واهرب من الفتيا
هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً. قم عني يا
أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد علي وردي، فإني امرؤ
ضنين بنفسي، والسلام على من اتبع الهدى.



المطالب العرفانية للرواية

- ١ - معنى العبودية وتحقيق معناها .
- ٢ - طلب العلم باستعمال حقيقة مفهوم العبودية .
- ٣ - استفهام الله .

الوصايا العرفانية التسع :

- أ - ثلاث في الرياضة النفسية .
- ب - ثلاث في الحلم .
- ج - ثلاث في العلم .

تحقيق مفهوم العبودية:

ما خلق الخلق جميعهم من جن وانس وما أرسلت الرسل
والأنبياء إلا لأجل تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى حيث قال

سبحانه : ﴿وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾^(١) ، وجاءت الأنبياء والرسل لتبيّن للناس كافة أن طريق التكامل هو العبودية وهي الجوهرة الثمينة بالنسبة للعبد لهذا قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : (العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية وما خفي من الربوبية أصيب في العبودية)^(٢) .

فالإنسان إذا لم يغفل عن كونه عبداً لله (أي ما هو إلا عبد رقيق وخادم مطيع) وعمق الشعور بذلك الأمر، واستشعر على الدوام بأن سيده وولي نعمته هو الله سبحانه يصل إلى منزلة من المنازل المهمة في العرفان العملي (السير والسلوك إلى الله) ولهذا قال سيد العرفاء الإمام الخميني رضوان الله عليه : (من الآداب القلبية في العبادات والوظائف الباطنية لسالك طريق الآخرة التوجه إلى عز الربوبية وذل العبودية، وهذا التوجه من المنازل المهمة في السلوك لسالك بحيث تكون قوة سلوك كل

(١) القرآن الكريم، الذاريات / ٥٦.

(٢) روح الله، الآداب المعنوية للصلوة، ص ٣١.

من السالكين بحسب فوة هذا [التوجه] بل الكمال والنقص لإنسانية الإنسان تابع لهذا الأمر^(١).

وعليه، إذا أراد الإنسان أن يحقق مفهوم العبودية الحقة، ينبغي أولاً: أن لا يرى لنفسه شيئاً في قبال الله سبحانه وتعالى، بل لا بد أن يعتقد عقيدة جازمة أنه لا شيء، وما هو إلا رشحة من رشحات الفيض الإلهي، ولو لا هذا الفيض لكان عدماً محضاً، ولهذا يكون الإنسان قريباً أو بعيداً من الله سبحانه حسب رؤيته لنفسه (فكلما كان النظر إلى الإنانية والأنانية ورؤيتها النفس وحبها في الإنسان غالباً كان بعيداً عن كمال الإنسانية ومهجوراً من مقام القرب الربوبي)^(٢).

وعليه يعتبر التوجّه لرؤيا النفس من خلال الإنانية والأنانية وعبادتها من خلال الهوى ﴿مَنْ أَخْذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ من الحجب الظلمانية التي تسبب البعد عن الله سبحانه وتعالى بل هي من أضخم الحجب وأظلمها، وما دام الإنسان مسجوناً في هذه

(١) روح الله، الآداب المعنوية للصلوة، ص ٣١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

الحجب الظلمانية فلن يرى نور طريق السير والسلوك إلى الله ولن يصل أبداً، لأن خرق هذه الحجب والخروج من هذا السجن لهو شرط من شروط السير والسلوك والوصول إلى الله سبحانه وتعالى وإن كان (خرق هذه الحجب أصعب من خرق جميع الحجب وفي نفس الحال مقدمة له بل هو مفتاح مفاتيح الغيب والشهادة وباب أبواب العروج إلى كمال الروحانية وما دام الإنسان قاصراً على النظر إلى نفسه وكماله المتهوم وجماله الموهوم فهو محجوب ومهجور من الجمال المطلق والكمال الصرف والخروج من هذا المنزل هو أول شرط للسلوك إلى الله بل هو الميزان في حقانية الرياضة وبطلانها، فكل سالك يسلك بخطوة الأنانية ورؤية النفس ويطوي منازل السلوك في حجاب الإنانية وحب النفس تكون رياضته باطلة، ولا يكون سلوكه إلى الله بل إلى النفس) ^(١).

يحكى أنَّ أحد العلماء في أيام الحج ذهب إلى عرفات وهو حامل خيمته حتى يقف في عرفات في يوم الموقف فلم يجد

(١) روح الله، الآداب المعنية للصلوة، ص ٣١.

موطئ قدم وأخذ يلتفت يميناً شماليًّاً فوجد مكاناً واسعاً يحيطه جنود وعساكر لحمايته ومنع أي أحد أن يخيم ويقف فيه، لكن هذا العالم لم يعبأ بهم ونصب خيمته الصغيرة وجلس، فجاءه الجنود مسرعين وقالوا له: ياشيخ يُمنع منعاً باتاً لأي أحد من الوقوف والجلوس في هذا المكان فاستفسر لماذا؟ فقالوا له: إنَّ هذا المكان محجوز للأمير الفلاني، فقال لهم على الفور إنَّ أرض عرفات كلها للعبد فلا يوجد مكان للأمراء هنا. أخبروا أميركم بهذا، ولن أُبرح مكانني هذا لأنِّي عبد من عبد الله. فأخبروا أميرهم بذلك ولم يستطع أن يمنع ذلك العالم من الوقوف في تلك الأرض استحياءً من كلامه المقنع.

وكذلك يروى أنَّ أحد العلماء في أيام الحج أيضاً وهو من المراجع المعروفين الكبار أراد أن يستريح قليلاً من تعب المشي فنزع قطعة الإحرام التي على كتفه وجلس على الرصيف، فرأه بعض من يعرفونه فقالوا له: يا سيدنا ومولانا إن جلوسك هنا لا يليق بسماحتك ومقامك العالي، فقال لهم دعوا عنكم هذه الألقاب ودعوني أحقق معنى العبودية

وأستشعر بأنني عبد الله في هذا المكان وادهبوا لعبادة الله
أفضل لكم.

من المؤكد أنه ما لم يسع الإنسان بخطى العبودية ويؤسم
ناصيته بسمة ذل العبودية لن يصل إلى عز الربوبية أبداً لأن
طريق الوصول إلى الحقائق والمعنويات الربوبية هو السير في
طريق مدارج العبودية الحقة، فمتنى ما ابتعد الإنسان عن عبادة
الهوى وتجرد من حب النفس وحب الدنيا التي هي رأس كل
خطيئة وتصرمت إنيته وأنانيته من عبوديته ازداد قربه من
الحضره القدسية وقويت معنوياته في ظل الحماية الربوبية،
وتصبح مملكة نفسه مملكة إلهية ليس لإبليس وجنوده محظ
قدم فيها، فيصل بعد ذلك إلى مقام (عبدي أطعني تكن مثلي)
فيكون الحق تعالى بسمعه سبحانه الذي يسمع به، لأن سمعه
يكون إلهياً، فيسمع بسمع الحق فقط، ويكون سبحانه بصره
الذي يبصر به، لأن يحصل إلى أن يكون بصره إلهياً فلا يبصر
إلا ببصر الحق. وهكذا بقية الجوارح، وهذه حقيقة وليست
خيالاً ولا دخل لعالم المنال فيه.

والحديث صحيح ومشهور عند الفريقين يثبت تلك الحقيقة الحقة ، فعز العبودية والنظر إلى النفس والتوجه إليها بنحو العبودية والصنمية نافر ومنفر من الوصول إلى عز الربوبية وألطافها الفياضة . فعز الربوبية وعز العبودية كالضرتين ، كلما اقتربت من إحداهما ابتعدت من الأخرى ، وكالدنيا والآخرة فكلما ابتعدت عن الدنيا اقتربت من الآخرة وكلما ابتعدت عن الآخرة اقتربت من الدنيا وهكذا .

فعلى الإنسان السالك طريق الحق والحقيقة أن يتتبه ويفطن إلى ذله العبودي في قبال ربوبية خالقه سبحانه وتعالى عزه .



العلم نور وحجاب

(ليس العلم بالتعلم إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك).

هكذا يوجه الإمام الصادق عليه السلام عنوان البصري ويلفت نظره إلى أن العلم ليس بكثرة التعلم ولكنه نور يقع في قلب من حقق العبودية الحقة وطهر قلبه من كل رجس ودنس، ونظفه من كل الأوساخ الدنيوية والأدران الشهوانية والصفات الشيطانية ومن أهمها (التكبر والغضب) لأن العلم لا يقع في إماء (قلب) متسع بهذه الأوساخ الضارة وإن وقع فإنه يصبح حجاباً لا نوراً على صاحبه وضاراً على غيره (إذا فسد العالم فسد العالم) فالذي يحقق معنى العبودية الخالصة لله فإن قلبه

يغدو ظاهراً نورانياً بنور الفطرة، لأن العبودية تعني البعد كُلَّ
البعد عن معصية الله والبعد كُلَّ البُعد عن الصفات الشيطانية
الذميمة، وعليه يكون قلب العابد مُهيئاً لأن يقع فيه النور
الإلهي، لهذا كان على الإنسان الذي يريد أن يحقق العبودية
الخالصة أن يشمر عن ساعديه ويعمل على تطهير نفسه من
الشوائب والأدران والأوساخ الدنيوية والصفات الذميمة
والرغبات الشيطانية (إن الإنسان إذا لم يتخلص من الرذائل
والخبائث فإن دراسته مهما طالت سوف تغره لأن العلم حين
يكون في أرضية غير نظيفة فسوف ينبع نباتاً خبيثاً وكلما ازداد
علم إنسان يحمل قلباً أسود ونفساً غير مهذبة، فإن حجب
الظلم في نفسه تتكشف، لأن العلم في نفس كهذه يصبح
حجاباً مظلماً (العلم هو الحجاب الأكبر) ولذلك فإن شر
العالم الفاسد أخطر من كل الشرور وأكثر.

صحيح أن العلم نور، ولكن في الأوعية النظيفة والقلوب
النظيفة، أما الأوعية النتننة والقلوب المظلمة فليس الأمر فيها
كذلك، إن العلم الذي يطلب صاحبه للجاه والظهور لا يزيده
إلاً بعدها من الله سبحانه.

وعلوم التوحيد أيضاً إن لم تكن الله وفي سبيله فإنها تحول إلى حجب ظلام، ولو أن شخصاً حفظ القرآن بالقراءات الأربع عشرة ولكن لم يكن هدفه في ذلك الله سبحانه فإنه لن يجني من حفظه إلا بعد عن الله سبحانه^(١).

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام لعنوان البصري:

(واطلب العلم باستعماله) إشارة إلى أن زكاة تعلم العلم إنفاقه، فلا خير في علم مودع في الصدور لا يستفيد منه صاحبه ولا من حوله من أهله وعشيرته وأهل بلده، الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه حاثاً على تعلم العلم وتعليمه حتى يتتفع الناس منه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَابَةً لِيَسْتَفْقَهُوا فِي الَّذِينَ وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢)، وعن رسول الله صلوات الله عليه وسلم أنه قال:

(١) روح الله، جهاد النفس، ص ١٦.

(٢) القرآن الكريم، التوبية/ ١٢٢.

(تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يأجركم الله حتى
تعلموا) ^(١).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (إنَّ كمال الدين طلب العلم، والعمل به) ^(٢)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داود عليه السلام أنَّ أهون ما أنا صانع بعالم غير عامل بعلمه أشدَّ من سبعين عقوبة باطنية، أنَّ أخرج من قلبه حلاوة ذكري) ^(٣).

وعليه يكون المتعلم والحاصل على العلم بدون العمل به خاسراً لا محالة في الدنيا والآخرة، فعلى المستوى الدنيوي، يسلبه الله حلاوة ذكره بل لا يذوق طعم حلاوة الذكر أصلاً ويُخسر ما تعلمته بمرور الزمن، حيث إنَّ العلم يثبت في الصدر بكثرة ممارسته عن طريق تعليمه للناس، وإذا لم يمارس عملية التعليم فإنَّ العلم الذي اكتسبه سوف يضمحل ويتلاشى شيئاً فشيئاً.

(١) الفيض الكاشاني، الممحجة البيضاء، ص ١١٥.

(٢) الفيض الكاشاني، الممحجة البيضاء، ص ١١٧.

(٣) الفيض الكاشاني، الممحجة البيضاء، ص ١١٢.

ويواصل الإمام الصادق عليه السلام توجيهه لعنوان البصري في قضية العلم فيقول في المقطع الأخير من هذا الأمر: (واستفهم الله يفهمك) يريد الإمام الصادق عليه السلام أن ينبه عنوان البصري إلى أمر خطير ومهم في هذه الكلمات الثلاث، وهو أنَّ طلب العلم يحتاج إلى فهم والفهم ليس من عند الطالب، إنه من الله ويُطلب منه وحده، فإذا أذعن الطالب إلى أنه فقير ومحاج إلى هذا الفهم وهو المدد الذي يعينه على تحصيل العلوم بشتى أنواعها، وتضرع إلى الله بقلب خاشع مفتقر منكسر محتاج كالفقير الذي يمد يده إلى الناس، فهو في حالة ذل وانكسار، وفقر إلى الله واحتياج إلى الغير، فمتى ما كان طالب العلم بهذه الحالة القلبية متوجهاً إلى الله بالدعاء لطلب الفهم، فسوف يعطيه الله وهو الكريم على عباده. (واتقوا الله ويعلمكم الله)، على عكس من يعتقد أنَّ اكتساب العلم وفهمه يأتي من جهد الإنسان فقط ولا دخل لله في هذا الأمر، إنسان كهذا من المستحيل أن يرزقه الله نور العلم وبصيرة الفهم، وخاصة علم المعرفة بالله والوصول إليه، إنسان يخرج من حول الله وقوته

إلى حول وقوة شخصه، لهو أبعد من أن يُرزق نور علمه
والقرب منه سُبحانه وتعالى .

بعد ذلك سأله عنوان البصري عن معنى حقيقة العبودية؟

فأجابه عليه السلام بأن حقيقة العبودية تتحقق بثلاثة أشياء :

١ - أن لا يرى العبد فيما خوله الله ملكاً، لأن العبيد لا يكون لهم ملك، بل يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به .

٢ - ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً .

٣ - وجملة اشتغاله له فيما أمره الله به ونهاه عنه .

يرى الإمام الصادق عليه السلام أنه لا يمكن تحقيق مفهوم العبودية بدون هذه الأشياء الثلاثة، وإلا تكون العبودية ناقصة ولا تصعد إلى مرتبة كمال العبودية الحقة، ولم يقتصر الإمام عليه السلام بذكر هذه المفردات فحسب بل أردها بشرح النتائج والمعطيات من كل مفردة، حيث قال موضحاً المعطى من المفردة الأولى :

١ - فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله تعالى ملكاً، هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه.

٢ - أما نتيجة ومعطى المفردة الثانية فيقول ﷺ : وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره، هانت عليه مصائب الدنيا.

٣ - وعن المعطى الثالث يقول ﷺ :

وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منها إلى المراء والombaهاة مع الناس، ويضع الإمام ﷺ اللمسات الأخيرة لهذا المطلب موضحاً ومبيناً أنَّ من يرزقه الله تعالى التوفيق في تطبيق تلك الأشياء فإنه وصل إلى المرتبة الأولى من مراتب التقوى، بمعنى أنَّ من يحقق معنى العبودية الحقة فإن مناله الوصول إلى أول درجة من درجات التقوى، حيث يقول ﷺ : فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هانت عليه الدنيا وإبليس والخلق ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ولا يطلب ما عند الناس عزاً وعلواً ولا يدع أيامه باطلأً فهذا أول درجة التقوى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾

نَجْعَلُهُمَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾.

ويستثمر عنوان البصري فرصة هذا اللقاء الشيق والثمين للاستفادة أكثر وأكثر من الإمام الصادق، حيث يعلم أن هذه الفرصة لن تكرر، والفرص تمر مز السحاب والذكي والموفق من يستفيد منها.

قال: يا أبا عبد الله أوصني؟ قال عليه السلام: (أوصيك بتسعة أشياء، فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله - تعالى - والله أسأل أن يوفقك لاستعمالها)، وهذه دلالة واضحة أن مؤسسي العرفان العلمي والنظري (طريق السلوك إلى الله) هم أهل بيت النبوة عليهما السلام.

قال عليه السلام: ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم فاحفظها وإياك والتهاون بها.

قال: أمّا اللواتي في رياضة النفس فإياك:

(١) القرآن الكريم، القصص / ٨٣.

١ - أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله .

٢ - ولا تأكل إلا عند الجوع .

٣ - وإذا أكلت فكل حلالاً وسم الله ، واذكر حديث

الرسول ﷺ : (ما ملأ آدمي وعاء شرّا من بطنه، فإن كان ولابد، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)، لقد حذر الإمام الصادق ع السالكين ومريدي طريق الله بالنسبة لرياضة النفس من أكل ما لا يشتهون لوجود آثار و婷عات من ذلك الأمر وهي الحماقة والبله ، وهذان الأمران من النواصص التي يهرب منها الشخص العادي ولا يريد أن يوصف بهما فضلاً عن طالب العلم الذي يريد أن يحصل على النباهة والتحصيل .

إذاً على الإنسان أن يتبع كل البعد عن أكل ما لا تشتهيه نفسه حتى لا يصاب المرء بالحمق والبله .

ويطرح الإمام ع مبدأ عدم الأكل إلا عند الجوع ، لأن الأكل على الشبع له أضراره الكثيرة على الجسم والقلب ، بل إن الشبع نفسه سبب من أسباب قسوة القلب والبعد عن الله

سبحانه وتعالى وإطفاء نور الحكمـة والمعرفـة، حيث جاء عن
الرسول الأـكرم ﷺ: (من شـبع ونـام قـسا قـلـبه . . .) ^(١).

وعنه أـيضاً ﷺ أنه قال: (نـور الحـكمـة الجـوع والـبعد مـن
الـله الشـبع والـقربـة إـلى الله حـب المـساكـين والـدـنـو مـنـهـم، لا
تـشـبعوا فـيـنـطـقـيـ نـور المـعـرـفـة فـيـ قـلـوبـكـم . . .) ^(٢).

فالـجـوع إـذـا لـه مـدـخـلـية كـبـيرـة فـي اـكتـسـاب الـعـلـم وـالـحـصـول
عـلـى نـور المـعـرـفـة. حيث جاء فيـ الأـثـر (جـعل الـعـلـم فـيـ الجـوع
وـالـغـربـة).

وـلـلـجـوع فـوـائـد كـثـيرـة نـذـكـر مـنـهـا مـا يـهـمـنـا فـيـ هـذـا الـبـحـث:

الفـائـدة الـأـولـى: صـفـاء الـقـلـب.

وـذـلـك لـحـدـيـث عـن رـسـول الله ﷺ: (أـحـيـوا قـلـوبـكـم بـقـلـة
الـضـحـك وـالـشـبع وـطـهـرـوـهـا بـالـجـوع تـصـفـ وـتـرـقـ) ^(٣).

الفـائـدة الثـانـية: حـبـ الله.

(١) الفـيـضـ الكـاشـانـيـ، المـحـجـةـ الـبـيـضـاءـ، صـ ١٠٦ـ .

(٢) المـصـدرـ نـفـسـهـ، صـ ١٠٦ـ .

(٣) المـصـدرـ نـفـسـهـ، صـ ١٠٦ـ .

قال رسول الله ﷺ : (جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وإنه ليس من عمل أحب إلى الله تعالى من الجوع والعطش)^(١).

الفائدة الثالثة: دخول عالم الملائكة قال النبي ﷺ : (لا يدخل ملائكة السماوات قلب من ملأ بطنه)^(٢).

وقال النبي عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : (أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم فلعل قلوبكم ترى الله عز وجل)^(٣).

الفائدة الرابعة: التضييق على الشيطان.

عن النبي الأكرم ﷺ : (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش)^(٤).

الفائدة الخامسة: صحة البدن، لقوله ﷺ : (صوموا

(١) الفيض الكاشاني، المحة اليضاء، ص ١٠٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠١ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣ .

(٤) الفيض الكاشاني، المحة اليضاء، ص ١٠٣ .

تصحوا) يستفاد من هذه الأحاديث أن قلة الأكل والجوع صحة للبدن ودفع لكثير من الأمراض النابعة من كثرة الأكل.

الفائدة السادسة: الحصول على ملحة الإيثار، نظر رسول الله ﷺ إلى رجل سمين البطن فأومأ بإصبعه إلى بطنه وقال: (لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك)^(١). أي لو كان ما أكلته زائداً وسبب لك السمنة آثرت به غيرك لكان خيراً لك.

الفائدة السابعة: كسر مادة الشهوات. وأردنا أن نختتم بهذه الفائدة المهمة جداً بل تعتبر أهم فائدة على الرغم أن هناك فوائد أخرى أيضاً من قبيل: قلة النوم والموااظبة على العبادة، والتلذذ بالذكر والمناجاة وتذكر ألم الجائعين والمحتاجين والشعور الفعلي بعجز النفس وضعفها، وهناك الكثير فمن أراد المزيد فعليه أن يرجع إلى الكتب الأخلاقية والعرفانية المطولة. ولو لم يكن من الجوع من فائدة إلا هذه الفائدة (كسر مادة الشهوات) لكتفى. لأنها من أكبر الفوائد وأهمها، حيث بها

(١) الفيض الكاشاني، الممحجة البيضاء، ص ١١١.

تترىض النفس الأمارة بالسوء المملوقة بالشهوات، وبما أن مادة الشهوات الأطعمة المختلفة، فإن الجوع يعمل على إضعافها ومسك لجام قيادتها، فسعادة الإنسان في أن يسيطر على شهواته وتعاسته في سيطرتها عليه، وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج والكلام، فالجائع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام، فيتخلص من آفات اللسان، كالغيبة والنميمة والكذب والفحش وغيرها وقد قال النبي ﷺ : (لا يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصاد أستهم) ^(١) .

أما شهوة الفرج فلا تخفي غائلتها والجوع يكفي شرها، فإذا شبع الرجل لا يملك فرجه وإن منعه التقوى فلا يملك عينيه، فالعين تزني كما يزني الفرج، وإن ملك عينيه بغضاء التقوى لم يملك فكره فيحلق به من وادٍ إلى وادٍ بالأفكار الرديئة، ما يشوّش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة، وإنما ذكرنا آفة الفرج واللسان مثلاً، وإنما فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها الشبع. وعليه يكون الجوع عاملاً رئيساً وأحد

(١) الكافي، ج ٢، ص ١١٥.

المعينات التي تعين الإنسان على ترويض وتهذيب نفسه
المملوءة بالشهوات المختلفة التي إذا تركت طفت وتحكمت
وسيطرت على الإنسان وجعلته عبداً مطيناً لها ﴿أَرَيْتَ مَنِ اخْزَى
إِلَهَهُ هُونَهُ أَفَإِنَّ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾^(١)



(١) القرآن الكريم، سورة الفرقان/٤٣ .



ما ينبغي على السالك في مأكله



١ - التدرج في قلة الطعام:

على من يريد السير والسلوك إلى الله سبحانه وتعالى ، تقليل طعامه ومشربه تدريجياً ، فمن تعود على الأكل والشرب الكثير وفجأة انتقل إلى الأكل والشرب القليل بدون تدرج ، لا تحتمل نفسه هذه النقلة المفاجئة وبالتالي ينتج عنه تعكير صفو مزاجه وضيق نفسه وانشغال فكره فيترك ويرجع إلى سابقه ، ولكن لو عمل على مبدأ التدرج فإنه سوف ينجح لا محالة ، فمثلاً من اعتاد على أكل طبق كامل من الأرز في وجبة الغداء فعليه أن ينقص ربعاً في البداية ويستمر على ذلك أسبوعين أو ثلاثة ثم ينقص ربعاً آخر وهكذا حتى يعتاد على الشيء الذي يقف عليه ، وليس المطلوب من السالك أن يمتنع عن الطعام

والشراب بل المطلوب الوصول إلى حد الاعتدال والابتعاد عن الامتلاء والزيادة (كُلُوا وَاشْرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) وعن النبي الأكرم ﷺ أنَّه قال: (ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان هو فاعلاً لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه).

٢ - الاقتصر على الوجبات فقط:

١ - على السالك أن لا يجعل همَّه الأكل والشرب في جميع أوقات يومه.

فمن جعل همَّه الأكل والشرب كانت قيمته ما يخرجه، فالإنسان أعز وأكرم من التشبه بالبهائم التي لا هم لها إلا علفها.

٢ - ينبغي على السالك أن يقتصر على الوجبات الثلاث ولا يأكل بينها، كما أن بعض العارفين يرون أن الاقتصر على وجبتين أفضل وعدم الأكل بينهما، لأن هذا يعدونه زائداً وإسرافاً.

روي أنَّ رجلاً قال: (شكوت إلى أبي عبد الله عَلَيْهِ الْحَسَنَةُ ما

ألقى من الأوجاع والتخم، فقال لي : تغذّ وتعشّ ولا تأكل بينهما شيئاً فإن فيه فساد البدن، أما سمعت الله تعالى يقول:
 ﴿وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَيْشَةً﴾^(١).

٣ - أكل اللحم وتركه:

ركز علماء العرفان على أمر ترك أكل اللحم أو الأطعمة التي من ذوات الأرواح من بيض ولبن ومشتقاته، على أن يكون الترك وفق برنامج روحي معين مستمد من روایات أهل البيت عليهم السلام ، لا أن يتصرف السالك وفق ما يراه وعلى رغباته النفسية، بل إن التصرف الشخصي في هذه البرامج الروحية ينبع عنه آثار سلبية وأضرار روحية لا تحمد عقباها، فالعارف يعتمد على ما يقوله النبي الأكرم وأهل بيته عليهم السلام في هذا الشأن، حيث يقول عليه السلام : (من أتى عليه أربعون يوماً ولم يأكل اللحم فليستقرض على الله وليرأكله)^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : (من ترك اللحم أربعين يوماً ساء

(١) القرآن الكريم، مريم/٦٢.

(٢) الكافي: ج ٦، ص ٢٠٩.

خلقه، ومن داوم عليه أربعين يوماً قسا قلبه^(١) ، لهذا ترى أكثر العرفاء والصالحين وعلى رأسهم سيد العرفاء الإمام الخميني رضوان الله عليه يعملون وفق هذه الروايات بالنسبة لأكل اللحم والامتناع عنه، حيث يكون برنامجهم الامتناع عن اللحم تسعه وثلاثين يوماً ويوم الأربعين يأكلون اللحم ثم بعد ذلك يبدؤون أربعين أخرى وهكذا، كما ينقل أنَّ برنامج الشهيد السعيد السيد دستغيب أنَّه كان يمتنع ويبحث على الامتناع عن ذوات الأرواح بأكمالها ثلاثة أيام في الأسبوع، كل ذلك حتى لا يقسوا القلب، ويكون به صفاء ونقاء وترويض عن الشهوات بأكمالها، لأن عادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الشهوات، فإن كل الذي يشتهيه الإنسان إن حصل عليه اقتضى ذلك بطراً في نفسه وفسدة في قلبه، وأنساً بلذائذ الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله، فتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجناً له، وإذا منع نفسه من شهواتها وضيق عليها وحرمتها لذتها صارت

(١) الكافي، ج ٦، ص ٢٠٩.

الدنيا عليه سجناً ومضيقاً له واحتىت نفسه الانفلات منها،
فيكون الموت إطلاقها^(١).

وعليه تكون مجاهمة شهوة الأكل بقدر تجويع النفس
وترويضها على ذلك، فإن آفات إعلال البدن والروح ناشئة من
إطلاق عنان شهوة الأكل والإكثار من اللذات، لهذا حثت
الروايات على ترك المباحات وما لهذا الترك من الثواب العظيم
على الرغم أن تناول المباحات ليس فيه معصية، ولكن
المداومة على ذلك ينتج عنه تعويد النفس وأنسها بالملذات
والرغبات الدنيوية التي تجر الإنسان إلى ارتكاب المعاصي
والذنوب والآثام ..

مما لاشك فيه أن أكل الحرام بمختلف أنواعه سواء أكان
أكل المذبوح بغير الطريقة الشرعية أو أكل مال اليتيم أو أكل
أموال الربا وغيرها، تؤثر تأثيراً كبيراً في روح ومعنوية الإنسان،
وقد تحدثت الآيات عن هذا الأمر بوضوح حين قال الله تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَمَّى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾

(١) الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ص ١١٨ .

نَارًاٌ وَسَبَقُوكَ سَعِيرًا^(١)، تتحدث الآية بصيغة المضارع (يأكلون) وليس بصيغة الماضي، أي في حالة أكلهم الحرام إنما هم يأكلون النار معنويًا وفي يوم القيمة سوف يصلون سعيراً، كما أن الذي يأكل الحرام بطرق الاحتيال على الناس، تكون حالته البرزخية (المعنوية) في الدنيا على هيئه قذرة كالخنزير الذي يأكل القاذورات، وهو أخسها رتبة، أو سبع من السباع المتوجهة التي تتعذر على الضعيف وتأكله أو تسلب ما عنده.

واعلم عزيزي القارئ أنَّ أكل الحرام نوع من أنواع الظلم، سواء ظلم النفس بأكل المذبح بغیر تذکیة أو ظلم الناس بأكل أموالهم بالباطل.

وصفة الظلم شيء قبيح جداً وهي من الصفات الذميمة لدرجة حتى الظالم لا يرضى أن يقول له أنت ظالم، حيث من الممكن أن تذكر صفة ذميمة لشخص هي فيه ويتقبلها ويُسكت ويُشكرك على ذلك كمن يتصرف بالغضب مثلاً فتقول له أنت

(١) القرآن الكريم، النساء / ١٠.

غضوب أو أي صفة أخرى، لكن أن تصف شخصاً بأنه ظالم فهذا لن يسكت عنه أبداً، وقد تتعرض للمواجهة الحادة والمتاعب من الطرف الآخر، وأقل تقدير إذا كان الشخص على قدر من الأدب ممكناً أن يقول لك في أي شيء أنا ظالم ومن الذي ظلمته؟

والظلم نوعان:

١ - ظلم الإنسان لنفسه بأن لا يعطيها حقها وحظها من الدنيا ويحررها من كل شيء ظنناً منه أن هذا تهذيب لها وهذا خطأ بل ظلم للنفس «وَابْتَغِ فِيمَا أَتَنَاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسِكْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...»^(١)، وقال تعالى أيضاً: «قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ أَنْتَ أَحْرَجَ لِعَادَوْهُ وَالْأَطْبَىْتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...»^(٢)، فالتهذيب للنفس لا يأتي من حرمان النفس من الشهوات والرغبات الفطرية المحللة من قبل الشارع المقدس، بل على العكس تماماً إن حرمانها يوصلها

(١) القرآن الكريم، الفصل / ٧٧.

(٢) القرآن الكريم، الأعراف / ٣٢.

إلى مرحلة من النكس لا تحمد عقباها، وحالة من الضغط الذي يولد الانفجار ويؤدي بها إلى المهالك والأمراض النفسية المعقدة مما يصعب على الإنسان وعلى الآخرين إرجاعها إلى حالتها الأصلية والضغط على النفس وحرمانها في ممارسة حقها الطبيعي الذي خلقه الله لها يعد ظلماً لها، نحن لا نقول أن ينصب الإنسان في الرغبات والمشتهيات بأنواعها انصباباً إلى حد الشره، ولا الحرمان إلى حد الامتناع بتاتاً، لا إفراط ولا تفريط وخير الأمور أوسطها.

وهناك ظلم آخر وهو زج النفس في المحرمات والعياذ بالله، فارتکاب الذنوب والآثام والخطايا يعتبر ظلماً لها، إنَّ كل شيء نريده جميلاً نظيفاً كاماً، من مأكل ومشروب وملبس ومسكن ونحاول بكل جهودنا أن نبعد عنها القاذورات والأدران، أما أرواحنا وقلوبنا فلا نهتم بها ولا نحافظ على سلامتها فطرتها بل ندنسها بالآثام وبالخطايا والذنوب على الرغم من أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أرشدنا إلى تزكيتها وتطهيرها وهي مفتاح الفلاح، ودسها في مستنقع الآثام هو الخيبة والندامة **«قد أفلحَ مَنْ زَكِّنَهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا»**.

٢ - وهناك نوع آخر من الظلم أيضاً هو ظلم الناس، وذلك بالتعدي على حقوقهم مادياً كان أو معنوياً، لا فرق في ذلك فاتهام الآخرين وإصدار الأحكام عليهم من غير بينة شرعية يعتبر ظلماً لهم.

وكل من يتصرف بالظلم يكون بعيداً عن الله سبحانه حتى لو صلي وصام وعمل المستحبات وابعد عن المكرورهات، فكيف يريد أن يكون قريباً من الله سبحانه وهو يتصرف بصفات يكرهها الله سبحانه وهي ضد صفات الكمالية المطلقة، فمن كان بخيلاً أو غضوباً أو ظالماً أتراه يكون قريباً من الله؟ أم أن هذه الصفات تبعده من محضر الله سبحانه وتحجبه من القرب الإلهي؟، (إنك لا تتحجب عن خلقك لكن حجبتهم الذنوب دونك) والسارك إلى الله لا يظلم حتى ذبابة أو نملة تمشي على الأرض يقول أمير المؤمنين وإمام العارفين علي عليه السلام في مضمون كلام له : (لو سمح لي أن أسلب نملة شعيرة ما فعلت) فكيف بظلم إنسان مثلك يشعر كما تشعر ويتآذى كما تتآذى، (ولذا ففي كل مرة يغويك شيطانك ويروسسك لك بالظلم،

فُضِّعَ نفْسُكَ مَكَانَ الْمُظْلومِ .. يَعْنِي تَصْوِرْ نفْسُكَ فِي قَبْضَةِ ظَالِمٍ^(١)، فَلَا تَرْضَ لِغَيْرِكَ مَا لَا تَرْضَاهُ لِنفْسِكَ .. وَانْظُرْ إِلَى نفْسِكَ فِي الْمَرْأَةِ وَنَكَلْ بِنفْسِكَ وَذَقْ طَعْمَ الإِهَانَةِ وَالْإِذْلَالِ حَتَّى لَا تَظْلِمَ الْآخِرِينَ.

وَاعْلَمْ أَيْهَا الظَّالِمُ أَنَّ كُلَّ مُخْلوقٍ لِهِ إِدْرَاكٌ وَشَعُورٌ وَهُوَ مُثْلِكُ، فَكَمَا إِنْكَ تَمْلَمِلُ مِنَ الْقَهْرِ وَالْأَذَى، وَكَمَا إِنْكَ تَعْذِبُ فِي السُّجْنِ وَالْضَّيقِ فَإِنَّ الْآخِرِينَ هُمْ أَيْضًا يَعْتَرِيهِمْ مُثْلُ الذِّي يَعْتَرِيكَ .. إِنَّهُمْ أَيْضًا يَشْعُرُونَ بِالْأَلَمِ، فَلَا تَظْلِمْ حَتَّى النَّمْلَةَ الصَّغِيرَةَ.

مِنْ تَكُونُ حَتَّى تَمُوتُ مِئَاتُ الْحَيَوانَاتِ مِنْ أَجْلِكَ وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تَعْيِشَ؟!

مِنْ أَنْتَ حَتَّى تَسْتَعْمِلُ الْمَيَدَاتِ السَّامَةَ لِلْقَضَاءِ عَلَى الذَّبَابِ وَالْحَشَراتِ حَتَّى لَا تَزْعُجَ اسْتِرَاخْتَكَ فِي غُرْفَتِكَ؟!

وَمِنْ تَكُونُ حَتَّى يَسْخِرَ اللَّهُ لَكَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟!

(١) قَالَ أَبُو جَعْفَرَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (إِيَّاكَ وَظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إِلَّا اللَّهُ) بِحَارِ الْأَنْوَارِ ٢٠٨ / ٧٧ .

إلا أن تكون رحيمًا، كما إن الله رحيم.

وألا تظلم، كما إن الله لا يظلم أحداً.

وإلا أن تكون مظهراً لصفات الكمال وأن تكون أشرف المخلوقات.

فإن تكن ظالماً فأنت بعيد عن الله، ولو ظلمت أحداً مقدار ذرة ابتعدت عن الله مسافات طويلة وانسلخت عن إنسانيتك، وتنزلت إلى درجة الحيوانية أو أدنى منها^(١).

واعلم عزيزي القارئ أن الظلم شيء عظيم، وله تجسيد قبيح جداً يناسب الظالم وعمله القبيح، ليس في الآخرة بل حتى في الدنيا، من يملك الصفاء والتجرد من المادة يعيش حالة بروزخية وهو في الدنيا يرى الأشياء والمخلوقات على حقيقتها الملوكية، فالظالم حين يمارس الظلم على الآخرين يكون على هيئة سبع من السباع أو خنزير أو ما شابه ذلك ولا عجب !!

(١) السيد حسن الأبطحي، بين يدي الأستاذ / ص ٩٠ .

يقول أحد أساتذة العرفان: (كان لي أستاذٌ أمرني بأمر
وأزلمني فعله أربعين يوماً كلما رمت الخروج من المنزل).

لا تظن أن ذلك كان رياضة أو ذكراء.. سأشرح ما وقع لي
بعد عشرين يوماً من المداومة.

في اليوم الحادي والعشرين عرض لي أمر فلم أستطع أداء
ما كنت مواظباً عليه وخرجت من المنزل، فرأيت الطريق يكتظ
بالحيوانات الأهلية والوحشية.. في البداية تعجبت كيف تسنى
لهذه الحيوانات دخول المدينة؟

لكني تذكرت ما قاله لي أستاذِي، إذ قال لي ربما تنفتح
عينك البرزخية وترى الناس على هيئة الحيوانات فأدركت حينئذ
حالي البرزخية.

وتذكرت ما حكى لي أحد الأصدقاء قال لي إنه رأى في
عالم الأطياف أن حرم الرضا كان يتعجب بالحيوانات ولم يكن
ممن على هيئة الإنسان إلا نفر قليل.

وعلى كل حال ذهبت في طريقي فصادفني شخص على

هيئة الخنزير تقدم إلي وسائلني عن حالي قلت: لماذا أنت في هذه الحال؟!

فقال: أبحث عن شخص ثري جداً وليس له عقل كامل وهو يبحث عن بضاعة لا يملكتها غيري لأنني احتكرتها منذ فترة طويلة ولذا قررت أن أاعثر عليه وأبيعه هذه البضاعة بأضعاف قيمتها الأصلية، يعني أستغل هذه الفرصة إلى أقصى حد!

قلت له: لا تفعل فهذا ظلم والله لا يحب الظالمين.. إنك لو تدري على أي هيئة أنت الآن ما فعلت ذلك.

وشعرت بالدهشة لأنه قال لي: أعرف حالي الآن.

قلت: فأية حال؟

قال: مثل خنزير يلتصق بأكل القاذورات والحرام، ويلتصق بظلم الآخرين.

قلت له: يا مسكين أ فلا تعتقد بالموت؟ ألا تحب أن يغيبك الله بعد الموت ويرحمك؟

ألم تسمع قول الله سبحانه في القرآن الكريم: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾^(١).

أما تدرى قول الله: ﴿إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

أفلا تعلم مصيرهم: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

وإنه: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾^(٤).

(وجرت الدموع من عينيه وأنا أقرأ عليه هذه الآيات وأظهر
الندم وكأنه اغتسل بالدموع فعاد إلى صورته الأدمية)^(٥).

ويواصل الإمام الصادق عليه السلام إرشاداته في موضوع رياضة
النفس بالنسبة لرياضة الأكل بذكر أدب من آداب الطعام وهو
التسمية عند الأكل.

وهو من الأمور المستحبة التي جاء بها الشارع المقدس عن
الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (إذا وضعت

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران/ الآية: ٥٧.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام/ الآية: ٢١.

(٣) القرآن الكريم، سورة إبراهيم/ الآية: ٢٢.

(٤) القرآن الكريم، سورة فاطر/ الآية: ٣٧.

(٥) السيد حسن الأبطحي، بين يدي الأستاذ/ ص: ٩١ - ٩٢.

المائدة حفت بها أربعة أملالك : فإذا قال العبد : «بسم الله» قالت الملائكة للشيطان : اخرج يا فاسق فلا سلطان لك عليهم ، فإذا فرغوا فقالوا : «الحمد لله» قالت الملائكة للشيطان : قوم أنعم الله عليهم فأدوا الشكر لربهم ، وإذا لم يقل «بسم الله» قالت الملائكة للشيطان : ادُنْ يا فاسق وكل معهم فإذا رفعت المائدة فلم يحمدوا الله قالت الملائكة : قوم أنعم الله عليهم فنسوا ربهم^(١) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

(ضمنت لمن سَمِّى على طعامه أَلَّا يشتكي منه ، فقال ابن الكوَا: يا أمير المؤمنين لقد أكلت البارحة طعاماً فسميت عليه ثم آذاني ، فقال: أكلت ألواناً فسميت على بعضها ولم تسم على بعض)^(٢) .

ويوصي الإمام الصادق عنوان البصري عند الأكل أن يتذكر حديث رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : «ما ملأ وعاء شرّاً من بطنه، فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» .

(١) الكليني، الكافي: ج ٦، ص ٢٩٢ .

(٢) المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٩٥ .

وهذا حد الاعتدال في الأكل والشرب وهو مفید جداً
للمعدة والجسم .

وقد تحدثنا سلفاً عن أضرار الشبع المادية والمعنوية ، في
بداية البحث فراجع .

ويواصل الإمام الصادق ع عليهما السلام وصاياه التسع لعنوان البصري
فيقول : وأما اللواتي في الحلم فمن قال لك : إن قلت واحدة
سمعت عشرأ ، فقل إن قلت عشرأ لم تسمع واحدة ، ومن
شتمك ، فقل له : إن كنت صادقاً فيما تقول فاسأله أن يغفر
لي وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أعلم أن يغفر لك .

٣ - ومن وعدك بالخني ، فعده بالنصيحة والرعياء (المراعاة)
والخني : يعني الفحش في الكلام ويأتي بمعنى الجور
والغدر^(١) .

الوصايا الثلاث تتحدث عن المواقف التي تحدث للمرء مع
الناس من جراء المعاشرة والمخالطة والتي تتطلب حلماً وكظمآ

(١) المنجد في اللغة ، ص ١٩٨ .

للغيط ويعرفهما أحد العلماء (وهما ضبط النفس إزاء مثيرات الغضب، وهما من أشرف السجايا وأعز الخصال ودليل سمو النفس، وكرم الأخلاق، وسبب المودة والإعزاز) ^(١).

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عزه، على الحلماء والكافظمين للغيط ومدحهم في محكم كتابه العزيز، حيث قال سبحانه: «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْطَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُعْتَصِمِينَ» ^(٢).

«وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَا وَإِذَا حَاطَبُوهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» ^(٣).

وعلى هذا الأثر ومن هذا المنطلق جاءت روايات أهل البيت عليهم السلام تحت على الحلم ومسك النفس عن الغضب.
وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (إن الله يحب الحيي الحليم) ^(٤).

(١) مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت، ص ٢٨.

(٢) القرآن الكريم، آل عمران / ١٣٤.

(٣) القرآن الكريم، الفرقان / ٦٣.

(٤) مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت، ص ٢٨.

وسمع أمير المؤمنين يوماً رجلاً يشتم قنبراً وقد رام قنبراً أن يرد عليه، فناداه أمير المؤمنين ﷺ مهلاً يا قنبراً، دع شاتمك مهاناً ترضي الرحمن، وتسخط الشيطان وتعاقب عدوك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أرضى المؤمن رباه بمثل الحلم ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه^(١).

وقال ﷺ : (أول عوض الحليم من حلمه، أن الناس أنصاره على الجاهل)^(٢).

وقال الإمام الصادق ﷺ : (ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزّاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾) وأثابه مكان غيظه ذلك) أي جعله في مرتبة المحسنين، وهكذا كلما كرمت أخلاق المرء عظم قدره عند الله والناس، وسمت نفسه عن معجازة الجاهلين في سفاهاتهم ومهاتراتهم وتهفهم وتصرفاتهم وحقدتهم الأعمى، متحصناً

(١) مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت، ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق، ٢٩.

بالحلم وكرم العفو، وحسن التجاوز مما يجعله مناراً يستضاء
منه ومثالاً يحتذى به.

يروى أن شامياً رأى الإمام الحسن عليه السلام فجعل يلعنه
ويشتمه، والإمام الحسن لا يرد عليه وهو يسمع له بكل هدوء،
فلما فرغ، أقبل الإمام عليه وهو يبتسم وسلم عليه وقال له: أيها
الشيخ أظنك غريباً ولعلك شبّهت فلو استعتبرنا أعتبناك، ولو سألتنا
أعطيتك ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا أحملناك، وإن
كنت جائعاً أشعبناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً
أغنيناك، وإن كنت طريداً أويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها
لنك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك
كان أعود عليك، لأن لنا موضعأً رحباً وجاهها عريضاً، وما
كثيراً، فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: (أشهد أنك خليفة
الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، كنت أنت وأبوبك
أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي، وحول رحله
إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم) ^(١).

(١) المجلسي، بحار الأنوار، معج ٩، ص ٩٥.

نلاحظ الإمام الحسن عليه السلام، كيف يتصرف مع عدوه وشاتمه وشاتم أبيه بأعلى درجات الحلم وكرم الأخلاق بأسلوب يعجز القلم عن مدحه.

ولا عجب من الإمام الحسن يصدر عنه مثل هذه الأخلاق العالية وكيف لا وهو المتخرج من مدرسة جده الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبيه إمام المتقين وأمير المؤمنين ولو عامل الإمام الحسن عليه السلام شاتمه بالمثل فماذا كان يتوقع من الشامي وهو المشحون حقداً من جراء الإعلام المنضلل الذي وضعه معاوية ضد الإمام علي وأبنائه، فما كان من الإمام إلا أن أقبل عليه مبتسماً ومسلماً، وهذا له تأثير بالغ على الطرف الآخر، وقد ثبت علمياً عن طريق علم النفس والبرمجة اللغوية العصبية مدى تأثير الابتسامة وإلقاء التحية على الخصم أو الإنسان الغاضب أو الحاقد ومقابلة الإساءة بالحسنة، وقد كان للقرآن الكريم السبق في تبيان ذلك التأثير على هذه العلوم الحديثة حيث يقول الله في محكم كتابه: «وَلَا سَتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا سَيِّئَةٌ أَدْفَعَ يَالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ فَإِذَا أَلَّى يَيْنَكَ وَيَيْنَمُ عَدَوَّهُ كَانَهُ وَلِيٌ حَبِيبٌ»^(١).

(١) القرآن الكريم، فصلت / ٣٤ .

والذي يستقرئ سيرة أهل البيت عليهم السلام يجد نماذج فريدة من الأخلاق العالية والقيم النبيلة.

ونتطرق إلى نموذج من هذه النماذج التي سطّرها التاريخ وهو ما رواه الرواية عن حلم الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد روى، أنه كان عنده أضياف فاستعجل خادماً له بشوأه كان بالتنور، فأقبل به الخادم مسرعاً، فسقط السفود منه على رأسه بُني لعلي بن الحسين عليه السلام تحت الدرجة، فأصاب رأسه فقتله، فقال الإمام السجاد عليه السلام وقد تحير الغلام واضطرب: (أنت حرٌ، فإنك لم تعمد، وأخذ في جهاز ابنه ودفنه) ^(١).

هذا الموقف من السجاد عليه السلام يحتاج حلماً كبيراً وعقلاً واعياً بالأمور، ولو لا ذلك لما قدم الحلم على الغضب والتسامح على الانتقام والعفو على العقاب، هذا هو سرُّ حب الناس إلى أهل البيت عليهم السلام، فكيف لا تحب الناس وتنجذب إلى أناس وصفوا بأنهم علماء حلماء أتقياء كرماء أبرار سمحاء وقد أحسن الفرزدق حين قال في مدحهم:

(١) مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت، ص ٣٢.

من عشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
نعم فالذى يقابل المعاملة السيئة بالصفات الحسنة
وبالأخلاق العالية، قطعاً يزداد علواً وارتفاعاً ويكون خير أهل
الأرض قدرأً ومكانة .

وقيل في الحلم أيضاً :
وذى سفه يخاطبني بجهل
فآنف أن أكون له مجيباً
يزيد سفاهة وأزيد حلماً
كعوذ زاده الإحرار طيبة

ومن أروع ما نظمه الشعراء في مدح الحلم، ما رواه الإمام
الرضا عليه السلام حين قال له المأمون: أنسدني أحسن ما رویت في
الحلم فقال عليه السلام :

إذا كان دوني من بليت بجهله
أبيت لنفسي أن تقابل بالجهل
وإن كان مثلي في محله من النهي
أخذت بحلمي كي أجل عن المثل
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجى
عرفت له حق التقدم والفضل
فقال المؤمنون: ما أحسن هذا، هذا من قاله؟ فقال الإمام
بعض فتياننا.



الخاتمة

إن السير والسلوك والوصول إلى الله والقرب منه ونيل رضاه، كل هذا لا يتأتى إلاً بعد جهد جهيد وكفاح مرير مع النفس والشيطان والهوى والدنيا عبر المجاهدة والمراقبة والترويض المؤدي إلى طواعية النفس وفق الشرع والعقل، وتطهيرها من الشوائب والأدران من الصفات الذميمة والذنوب والآثام، وطرد الشيطان وجنوده منها، لتحل محلها الجنود الملائكية الرحمانية.

وأفضل معين على هذا العمل الجبار والضخم وصايا وإرشادات وتوجيهات أرباب القلوب وأطباء النفوس محمد وآله المعصومين الذي من تمسك بهم نجى ومن تخلف عنهم غرق وهوى إلى الدرك الأسفل وبئس القرار.

لهذا نجد عنوان البصري لم يجد ضالته ومبغاه ومناه إلاً

من إمام عصره، الإمام الصادق عليه السلام، وبعد الإلحاد والإصرار منه على الإمام بأن يوصيه، رأى الإمام عليه السلام بعين قلبه أن عنوان البصري مهتم بالعلم ومجد في تحصيله، والعلم الحجاب الأكبر ما لم تروض النفس وتهذب وفق منهجية سليمة تأخذ من منبعها الأصيل.

فجاءت هذه الوصايا العرفانية لعنوان البصري فكانت هي المشكاة التي أضاءت له وإلى العارفين والصالحين دروبهم، فأخذوها جيلاً بعد جيل حتى وصلت لنا، فأضاءت دروب حياتنا كلها.

تم في ١٤٣٠ / ٩ / ١٨ هـ



الفهرس

٥	المقدمة
١١	رواية عنوان البصري
١٧	المطالب العرفانية للرواية
١٧	تحقيق مفهوم العبودية
٢٤	العلم نور وحجاب
٣٨	ما ينبعى على السالك في مأكله
٣٨	١ - التدرج في قلة الطعام
٣٩	٢ - الاقتصر على الوجبات فقط
٤٠	٣ - أكل اللحم وتركه
٦١	الخاتمة